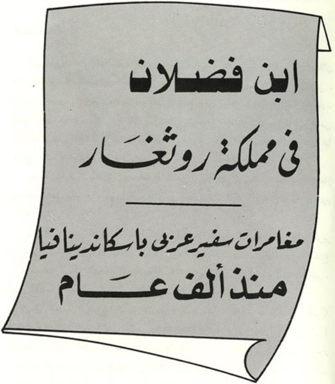

ابن فضلان
فى مملكة روثغار

مغامرات سفير عربى باسكانديناڤيا
منذ ألف عام

ترجمة احمد عبدالسلام البقالى

مقدمة:

منذ مايزيد عن ألف سنة ، بعث الخليفة العباسى (المقتدر(١)) باحمد ابن فضلان سفيرا له الى بلاد الصقالبة ، على رأس بعثة من ثلاثة الآف عالم ، وعامل ، ومهندس ، وطبيب وصيدلى ، لتحصين مملكة الصقلب (بلغاريا) المسلمة من هجوم الخزر اليهود ، وتلقين أهلها مبادىء الدين الاسلامى ، وعلاج مرضاهم ، ومساعدتهم على الخروج من التخلف ، شأن البعثات والمساعدات الغربية الحديثة ، ولكن على نطاق واسع بكثير كما يوحى بذلك عدد أفراد بعثة (المقتدر) .

وفى طريقه الى (بلغاريا) اختطفه جماعة من (الفايكنج). سكان اسكندنافيا بايعاز من قهرمانتهم ليكون العضو الثالث عشر فى بعثة لإنقاذ مملكة (روثغان) من هجوم (الفندول) .

وقد كتب (ابن فضلان) رسالة عن هذه الرحلة المهولة ، الممتعة ، فى شكل تقرير دبلوماسى رفعه الى (بلاط المقتدر) ، بعد نجاته من عدة اهوال ، وعودته من اصقاع اسكندينافيا الباردة المتخلفة الى مدينة السلام ، (بغداد) عاصمة العالم المتحضر ، ومركز الاشعاع الفكرى والعلمى ، والادبى ، والفنى ، آنذاك .

ونظرا لأهمية الموضوع بالنسبة لتاريخ اسكاندينافيا ، كلفت جامعة (اوسلو) النرويجية الدكتور (بير فراوس دولوس **Per Fraus Dolus**) بجمع رسالة ابن (فضلان) الضائعة فى بطون الكتب العربية والاجنبية فى عدد كبير من اللغات ، وقد قضى الدكتور (دولوس) سبع سنوات فى جمعها ، من ١٩٥٢ الى ١٩٥٩ وهى نفس السنوات التى كان الدكتور (سامى الدهان) يقوم فيها بنفس العملية الشاقة فى جمع المخطوط الضائع بإيعاز من استاذه (محمد كرد على) ، ولكن بدون امكانيات جامعة (اوسلو) التى أتيحت لـ (دولوس) فجاء عمل الدكتور (الدهان) على قدر جهده .

وجاء بعدهما الكاتب الروائى الامريكى (مايكل كريشون **Michael Critchon**)

فأخرج التقرير الدبلوماسي الذى كان يملأ مائة صفحة من الحجم الكبير بخط ابن فضلان الدقيق ، من ركاكة ترجمته الحرفية ، وأعاد صياغته بأسلوب روائى عصرى مشوق مثير ، دون تحريف لحرفية الأحداث .

وبمجرد صدوره بعنوان (أكلَة الأموات **Eaters of the Dead**) سنة ١٩٧٦ اصبح أروج كتاب **Best Seller** ووصفته (الديلى تلغراف) اللندنية بأنه « من أروع روايات السنة » .

ويقول (مايكل كريتشون) فى مقدمته للكتاب : « يعد مخطوط ابن فضلان اقدم تسجيل معروف كتبه شاهد عيان عن حياة (الفايكنغ) السكاندنافيين ومجتمعهم . فهو وثيقة فريدة من نوعها ، تصف بدقة متناهية احداثا وقعت منذ اكثر من الف عام . ولم يصلنا المخطوط كاملا عبر تلك الفترة الطويلة جدا فله هو ايضاً . قصةٌ لاتقل غرابة عن النص نفسه » .

ويعنى هذا ان (احمد بن فضلان) سفير الخليفة (المقتدر) الى الصقالبة ، اصبح صدفة تاريخية محضة حسب أول مؤرخ للمجتمع السكندنافى الذى كان فى ذلك العهد كما وصفه (ابن فضلان) بتجرد العالِم ، ودقة ملاحظته وبعده عن المبالغة ، والتهويل، مجتمعا أميا ، جاهلا ، قذر المظهر والعادات ، وثَنيَّ المعتقدات ، يعيش على الحرب والعنف .

يقابل هذا ماكانت تشع به عاصمة الخلافة العربية (بغداد) او (دار السلام) فى تلك الفترة من القرن العاشر الميلادى من إشراق روحى ، وعلمى ، وادبى ، ورواج اقتصادى . فقد كانت كما وصفها (كريتشن) : « أزهى المدن حضارة على الأرض . وكان يعيش داخل أسوارها أكثر من مليون نسمة ، وكانت مركز النشاط التجارى ، والاشعاع الثقافى ، ومسرحا رائعا للجمال ، والاناقة والتألق . وكانت اسوارها تضم البساتين العطرة ، والمآوى الظليلة الناعمة ، والثروات الطائلة التى تأتيها من اطراف الامبراطورية الشاسعة .

وكان عرب (بغداد) مسلمين متَمَسِّكين بدينهم ، ولكنهم كانوا متفتحين على شعوب تختلف عنهم فى المظهر ، والعادات والمعتقدات . وفى الحقيقة كان العرب اقل الشعوب

اقليمية فى العالم فى ذلك العصر . وقد جعل منهم ذلك ملاحظين ممتازين للثقافات الاجنبية ..

وقد اثار مخطوط ابن فضلان جدالاً حادا بين علماء الانثروبولوجيا فى الجامعات الغربية .وخصوصا وصفَه الدقيق (للفيندول : سكان الكهوف البحرية بالفيوردات الذين كانوا يهاجمون مملكة الملك (روثغار) التى ذهب (ابن فضلان) مُرْغَماً مع جماعة من السكندينافيين للدفاع عنها . هذا الجدل اشتد سنة ١٩٧١م بين طائفتين من العلماء ، إحداهما يتزعمها الاستاذ (جيوفرى رايتوود **Geoffrey Wrightwood**) : من جامعة (اكسفورد) ، تقول بأن وصف (ابن فضلان) (للفيندول) ينطبق على انسان (النياندرثال) الذى ساد الاعتقاد بانه اختفى بدون اثر منذ ٣٠ أو ٤٠ ألف عام .

ويتزعم الطائفة الثانية الأستاذ (غودريتش **E.D. Goodrich**) وهو عالم بيولوجى من جامعة (فيلاديلفيا) معروف بالتشكك ، ويتبنى وجهة نظر مخالفة ، فيقول (سنة **١٩٧٢**م) : « إن دقة (ابن فضلان) فى الوصف قد تغرينا بالتجاوز عن بعض المبالغات الواردة فى مخطوطه » .

ويأخذ عليه الأهمية التى أعطاها لشعر جلودهم ووحشيتهم . ويرد عليه بان (الفيندول) قد يكونون طائفة بشرية تعيش فى عزلة فى تلك المناطق النائية . كما يأخذ عليه وصف اهل الشمال بالعمالقة . وكلا الردين مردود على (غودريتش) ، فالعمالقة بالعربية لاتعنى بالضرورة المخلوقات الاسطورية الفارعة ، بل كل من يزيد طولهم عن الطول المألوف بين الناس .

وقد كانت دقة ابن فضلان وموضوعيته التى يشهد بها (غورديتش) نفسه ؛ والتى برزت من خلال كل سطر من سطوره مثار اعجاب جميع من قرأ رسالته . فهو صادق فى ملاحظاته وتعليقاته لدرجة القسوة حتى حين يتعلق الأمر بوصف جُبنه وضعفه أمام الأهوال والأخطار التى كان يُرغَم ارغاما على اقتحامها ! استمع إليه وهو يصف شعوره حين علم ان الجماعة التى يوافقها ذاهبة لمفاجأة (الفيندول) من جهة البحر حيث سينزلون الى

الكهوف من فوق « الفيوردات » الشاهقة ، مُتدلِّين بالحبال ، وهو يخاف الأماكن المرتفعة خوفا مَرَضياً شديداً :

« كنت منزعجا من نزول الجرف الشاهق معلقا بحبل . وكان انْزِعاجى من الشدة بحيث كنت أفضل عمل أى شىء على وجه الأرض ، ولو كان ذلك أكل روث خَنزير ، أو أن أفْقَأ عينى ، وحتى الموت نفسه كنت أفضله على النزول معلقا من ذلك الجرف » .

وسأترك ، فيما يلى ، الكلمة لابن فضلان ليحدثكم بنفسه ، من مسافة ألف سنة ، عن إحدى مغامراته مع السكندينافيين سُكان الأصقاع الشمالية .

مملكة روثغان
فى أرضْ فيندن ”

رست سفينتنا فى وقت صلاة الظهر ، واستغفرتُ الله لتخلُّفى عَن أدائِها . ولم اكن أجرؤ على الصلاة أمام الشماليين الذين كانوا يعتقدون ان صلاتى كانت دعاء عليهم ، وكانوا يهددونى بالقتل اذا صلّيت على مرأى منهم .

ولبس كل مقاتل بالمركب دروعَ المعركة التى كانت كالآتى : أولا : نعال وجوارب عالية من صوف خشن ، وفوقها غطاء من الفرو الثقيل الذى يصل الى الركبة . وفوق ذلك اغطية من الجلد الذى كان عندهم جميعاً سوى شخص واحد هو أنا . وبعد ذلك أخذ كل واحد منهم سيفه وأدخله فى حزامه ، وكل رجُل رفع تُرسُه المصنوع من الجلد الابيض ورمحه ، وكل رجل وضع خوذة من الحديد او الجلد على رأسه(١) وفى هذا كان الرجال جميعا متشابهين إلاّ (بوليويف) الذى كان يحمل سيفه فى يده ، لأنه كان كبيراً جدا .

ونظر المقاتلون الى قصر (روثغار) العظيم ، واخذوا يظهرون اعجابهم بسقفه اللامع ومهارة الصنعة فيه ، واتفقوا على أنه لامثيل له فى العالم ، بسواريه السامقة ونقوشه الغنية ، ومع ذلك لم يكن فى كلامهم احترام له .

ونزلنا من السفينة ، وقصدنا القصر على طريق مبلطة بالحجارة ، واحدث صليل السيوف وقعقعة السلاسل ضوضاء عالية . وبعد صعودنا مسافة قصيرة رأينا على جانب الطريق رأس ثور فوق عصا ، وكان حديث العهد بالذبح .

وتنهد جميع الشماليين ، وعبست وجوههم لذلك المشهد ، رغم انه كان غير ذي معنى بالنسبة لى ، فقد كنت قد تعودت على عادتهم بقتل حيوان لأنفه قلق أو استفزاز ! ولكن رأس الثور هذا كان له مدلول خاص .

نظر (بوليويف) بعيدا عبر حقول اراضى (روثغار) ، ورأى هناك منزلا فلاحيا منفردا من النوع الشائع فى ارض (روثغار) كانت حيطانه من خشب وسقوفه بعجينة من الطين والتبن الذى يجب تعهده بعد تهاطل الامطار . اما السقوف فكانت من اعواد التسقيف والخشب كذلك . ولم يكن داخل المنازل إلا أرضيه من الطين ومدفأة ، وروث الحيوانات ، فالمزارعون ينامون مع حيواناتهم داخل البيوت طلبا للدفء الصادر عن أجسادها ، ويستعملون الروث وقودا للنار .

وامر (بوليويف) بأن نذهب الى ذلك المنزل الريفى ، فمشينا عبر الحقول الخضراء المبتلة . وتوقفنا لفحص الأرض مرة أو مرتين قبل متابعة السير ، ولكنهم لم يروا شيئا يهمهم . كما لم أر أنا شيئا .

وأوقف (بوليويف) جماعته ، مرة اخرى ، واشار الى التراب الأسود . ورأيت بعينى اثر قدم حافية ، بل عدة اقدام . كانت تلك آثار ملساء واقبح من أى شىء معروف للخليقة .. كان على رأس كل أصبع أثر ظفر أو مخلب حادّ ، بحيث كان الحجم بشريا ، وفى نفس الوقت غير بشرى . وقد رأيت ذلك بعينى وما كدت أصدقه .

وحرك (بوليويف) ومقاتلوه رؤوسهم لمّا رأوا ، وسمعتهم يعيدون كلمة واحدة مرة بعد اخرى ، وهى كلمة « فيندول » أو « فيندلون » أو مايشابهها . ولم اعرف معنى الاسم . واحسست اننى لاينبغى ان أسأل (هيرغر) فى هذه اللحظة لأنه كان قلقا كالباقى . وسرنا سيرا حثيثيا الى المنزل القروى ونحن نرى ، مرة بعد اخرى ، آثار الاقدام ذات

المخالب على الأرض . ومشى (بوليويف) ومحاربوه على مهـل ، ولـم يكن ذلك حذرا منهم ، فلم يستل احدهم سلاحه ، ولكنه كان نوعا من الخـوف لم افهمـه ، ولكننـى احسسته معهم .

وفى النهاية وصلنا الى المنزل ودخلناه ، وفيه رأيت بعينى هذا المنظر : شاب جميل متناسق الاعضاء فُصِلَت اعضاءُ جسده عن بعضها عضوا عضوا .

الصدر هنا ، وذراع هناك ، وساق هناك . وعلى الارض بِرَك خاثرة من الدم تلطخت به الجدران ، والسقوف ، وكل مكان بحيث ظهر المنزل مطليا بالدم الاحمر . وكانت هناك امرأة ممزقة بنفس الطريقة ، وكذلك طفل ذكر فى سنته الثانية أو اصغر ، اقتلع رأسه من بدنه فاصبح جِذعا داميا ..

رأيت كل هذا بعينى ، وكان أشد ماشاهدته فى حياتى إرعابا ، فافرغت مافى جوفى ، وبقيت دائخا لمدة ساعة ، ثم تقيأت مرة أخرى .

ولن افهم أبداً سلوك الشماليين ، فحتى وأنا أقىء ، كانوا هم هادئين باردى الأعصاب أمام هذا المشهد المرعب ، يراقبون كل مارأوا بطريقة هادئة ، يناقشون آثار المخالب على الاعضاء ، وطريقة التمزيق ، وقد أعطوا اهتماما كبيرا لغياب الرؤوس ، ولاحظوا كذلك ابشع مشهد على الاطلاق ، والذى مازلت اتذكره حتى الآن فترتعش فرائصى بشدة :

ذلك ان جسد طفل ذكر كان قد مضغته اسنان شيطانية فى اجزائه الناعمة وراء الفخذ ، ومنطقة الكتف .. رأيت بعينى هذه الفظاعة !

وخرج مقاتلو (بوليويف) عابسى الوجوه يزمجرون من المنزل القروى . واستمروا فى اعارة انتباهم الى الوحل حول المنزل ، ملاحظين انه لم تكن آثار حوافر ، الأمر الذى كان له معنى خاص عندهم . ولم افهم لماذا ، ولم يكن يهمنى ، فقد كنت اشعر بالغثيان والضعف ..

وأثناء عبورنا للحقول اكتشف (ايكثغو) حصاة صغيرة ، اصغر من قبضة طفل ، كانت منعمة ومنقوشة بطريقة بدائية . واجتمع حوله جميع المحاربين لمعاينتها ، وأنا معهم .

ورأيت انه جذع امرأةٍ حامل ، لم يكن له رأس ، ولا ذراعان ولا ساقان ، كان جذعا فقط ببطن منتفخة ، وفوقها نهدان منتفخان متدليان(١) وحسبت ذلك التمثال بدائيا للغاية وبشعا ، ولاشيء أكثر . ولكن الشماليين ظهرعليهم فجأة التخوف والشحوب . وارتعشت أيديهم وهم يلمسونها . واخيرا رمى بها (**بوليويف**) الى الأرض وسحقها بمقبض سيفه حتى صارت شظايا صغيرة . وحينئذ اصيب عدد من المقاتلين بما اصبت به من غثيان ، واخذوا يفرغون أجْوافهم على الارض . وكان فزع الجميع عظيما لدرجة اذهلتنى .

ومن ثم ذهبوا الى قصر الملك (روثغار) ولم يتكلم احد اثناء سيرنا الذى اخذ قرابة الساعة . وكل واحد من الشماليين كان يبدو منطويا على نفسه ، غارقا فى تفكيرٍ مُرّ عميق ، ولكن لم يبد عليهم أى خوف بعد ذلك .

وفى الطريق وقف لنا حاجبٌ على جواد واقف امامنا ، ورأى الاسلحة التى كنا نحملها ، وعدد رفاق (**بوليويف**) ، فصاح منذرا .

وقال لى (**هيرغر**) : « انه يريد ان يعرف أسماءنا ، وبسرعة » .

وأجاب (**بوليويف**) الحاجب ، ومن صوته فهمت انه لم يكن له مزاج لتقبل مزاح البلاطات وقال لى (**هيرغر**) :

« بوليويف » يقول له اننا من رعايا الملك (**هيغلاك**) ، صاحب مملكة (**ياتلام**) ، ونحن ذاهبون فى مهمة الى الملك (**روثغار**) ، ونريد الحديث اليه »

وأضاف (**هيرغر**) : « **بوليويف يقول** ان الملك (**روثغار**) ملك عظيم » ولكن لهجة (**هيرغر**) كانت تدل على عكس ذلك .

وطلب منا الحاجب التوجه الى القصر ، والبقاء خارجه حتى يخبر الملك بوصولنا وفعلنا ، رغم ان (**بوليويف**) وجماعته لم تعجبهم تلك المعاملة . وارتفعت اصوات الاحتجاج والامتعاض ، وذلك لأن الشماليين قوم كرماء ، وهذه ليست طريقتهم فى الاستقبال ، فلا يجوز تركهم خارج المكان . ولكنهم انتظروا ونزعوا اسلحتهم ، وسيوفهم ، ورماحهم ، إلا انهم لم ينزعوا دُروعهم ، وتركوا الأسلحة خارج باب القصر .

وكان القصر محاطا من جميع الجهات بعدد من المنازل بطريقة الشماليين . وكانت هذه مستطيلة منعرجة الجوانب كالتى فى (تريلبورغ) ، ولكنها مختلفة عنها فى الترتيب ، فلم تكن هنا أى مربعات ، ولا تحصينات ، وخلافا لذلك فقد كانت الارض تنحدر من القصر والمنازل المستطيلة حوله الى سهل اخضر تتخلله المنازل القروية هنا وهناك ، ومن ورائه التلال ، وبداية الغابة .

وسألت (**هيرغر**) لمن تكون هذه المنازل المستطيلة ، فقال لى :

« بعضها للملك ، والأخرى للعائلة الملكية ، والنبلاء ، وبعضها للخدم والحشم بالقصر » .

وقال لى كذلك بان المكان صعب ، ولم افهم ماكان يقصد بذلك .

وأُذِن لنا فى دخول قصر الملك (**روثغار**) الذى اقول حقا انه يجب ان يعد واحداً من عجائب العالم خصوصا وانه فى بلاد الشمال البدائية . ويسمى هذا القصر بين قوم (**روثغار**) باسم (**هيوراث**) ، لأن أهل الشمال يطلقون اسماء الأفراد على أدوات معيشتهم مثل المبانى والمراكب ، وخصوصا الأسلحة . و (هوارث) أى قصر (**روثغار**) العظيم كان فى ضخامة قصر الخليفة الكبير . وكان مُطعًما بالفضة ، وحتى ببعض الذهب الذى كان نادرا جدا بالشمال . وعلى كل الجوانب كانت النقوش والزخارف ذات البهاء الرائع الغنى بمهارته الفنية . وكان حقا شاهدا على قوة وجلال الملك (**روثغار**) .

وجلس الملك (**روثغار**) فى طرف القاعة الفسيحة جدا لدرجة اننا لم نكد نميزه وكان واقفا على كتفه اليمنى نفس الحاجب الذى اوقفنا فى الطريق ، وتكلم الحاجب فقال لى(**هيرغر**) انه يقول :

« يا أيها الملك ، هذه جماعة من محاربى مملكة (ياتلام) . قد وصلوا حديثا من البحر . وزعيمهم اسمه بوليويف وهم يستأذنون فى الحديث معكم فى مهمتهم . يا أيها الملك ، لاتمنعهم من الدخول ، فلهم سَمْتُ الاعيان ، ومظهر زعيمهم يدل على انه محارب جبار . فرحِّب بهم كأعيان . يا أيها الملك (**روثغار**) » .

وحينئذ طلب إلينا الاقتراب من الملك (**روثغار**) .

وَبَدَا الملك (**روثغار**) كرجل مشرف على الموت . فلم يكن شابا وكان شعره ابيض ، وجلده شاحبا ، ووجهه مثقلا بالخوف والحزن . ونظر الينا بارتياب وهو يقطب عينية ، فربما كان يشرف على العمى ، لا أدرى .

واخيراً أخذ يتكلم و (**هيرغر**) يترجم لى :

« اعرف هذا الرجل ، لاننى ارسلت اليه ليقوم بمهمة بطولية .. انه (**بوليويف**) وقد عرفته كطفل حين سافرت الى مملكة (ياتلام) بالبحر . فهو ابن (هيغلاك) الذى استضافنى بكرم . والآن يأتى ابنه إلىّ فى وقت احتياجى وحزنى . »

ونادى (**روثغار**) بادخال المحاربين الى القاعة ، ووزعت بينهم الهدايا ، وبدأت الاحتفالات .

وألقى (**بوليويف**) خطابا مطولا لم يترجمه لى (هيرغر) لأن الكلام اثناء خطابه يعد خروجا عن اللياقة . ولكن معنى ماقاله هو هذا « ان (**بوليويف**) علم بمشاكل (**روثغار**) ، وانه تأثر لذلك وان مملكة ابيه نفسها تحطمت لنفس المشاكل ، وانه جاء لانقاذ مملكة (**روثغار**) من الشر الذى حاق بها » .

ولكنى لم اعرف حتى هذه اللحظة ماكان يسميه الشماليون بالشرور ، أو كيف كانوا يتصورونها رغم اننى رأيت افعال تلك الوحوش التى مزقت الناس إربا .

وتكلم الملك (**روثغار**) بنوع من العجلة . وفهمت من طريقة كلامه انه كان يريد ان يقول شيئا قبل أن يأتى محاربوه وأعيانه وهذا ماترجمه لى (**هيرغر**) من كلامه :

« يا (**بوليويف**) ، عرفت اباك حين كنت انا ايضا شابا ، وحديث العهد بعرشى ، وانا الآن شيخ عليل القلب ، وقد انتكس رأسى ، وبكت عيناى من خجل الاعتراف بضعفى ، وكما ترى عرشى كاد يكون مكانا ممحلا ، وأراضيً تتحول الى أراض خالية مهملة ، ولا استطيع ان اقول مافعل الغيلان بمملكتى وفى الليل ، غالبا مايُقْسِمُ رجالى ، تحت شجاعة السكر ، بالقضاء على الغيلان . ولكن عندما يزحف ضوء الفجر الكئيب

فوق ضباب الحقول نرى اجساما دامية فى كل مكان . وهذا هو حزن حياتى ، ولن اتكلم عنه بعد الآن . » .

وجيىء بمائدة ، ووضع امامنا الطعام فسألت (**هيرغر**) عما كان الملك يعنى بالغيلان . فغضب وقال لى ألاَّ أسأله أبداً .

وفى ذلك المساء أُقيمت حفلة عظيمة ، برئاسة الملك (**روثغار**) والملكة (وايليو) التى كانت تلبس لباسا مزركشا بالذهب ومرصعا بالجواهر ، وحضر اعيان المملكة وجنودها ونبلاؤها ، وكانوا جماعة تثير الشفقة . فقد كانوا عجزة سكِّيرين ، وكثير منهم مقعدون أو جرحى وفى عيونهم جميعا كانت نظرات الخوف الجوفاء ، وكان مرحهم مُزَّيفا ..

وكان (**ويغليف**) ابن الملك (**روثغار**) **الذى سبق ان ذكرته ، حاضرا كذلك وهو الذى قتل ثلاثة من اخوته . وكان نحيفا ، وله لحية شقراء وعينان لاتستقران على شيء بل تتحركان هنا وهناك باستمرار ، ولاتتقابلان مع نظرة احد** .

رآه (**هيرغر**) وقال : « انه ثعلب » .

وكان يريد بذلك انه متقلب ، ومتلون ، ومتزلق ، ومزيف السريرة ، والشماليون يعدون الثعلب حيواناً يستطيع ان يتقمص أى شكل يريد .

وفى وسط الاحتفالات **ارسل**(**روثغار**) حاجبه الى ابواب قاعة (**هيوارث**) فعاد هذا واخبر بان الضباب لن ينزل فى تلك الليلة ، وسُرَّ الجميع جدا لذلك ، واحتفلوا بخبر ان الليلة ستكون صافية ، ولقد سر الجميع سوى (**ويغليف**) .

وفى وقت معين وقف (**ويغليف**) ، وقال :

« اشرب نخب ضيوفنا ، وخصوصا (**بوليويف**) المحارب الشجاع الصادق الذى جاء لمساعدتنا فى محنتنا ، رغم أن الأمر قد يكون اعظم من أن يتغلب عليه » .

« وهمس (**هيرغر**) ذلك فى اذنى ففكرت انه مدح وقدح فى نفس واحد .

والتفتَتْ جميع العيون الى (**بوليويف**) لسماع رده . ووقف (**بوليويف**) ونظر الى (**ويغليف**) ، وقال :

« أنا لا أخاف من أى شىء ، حتى الغول الذى يزحف بالليل ليقتل الناس فى نومهم .» .

وفهمت انه يعنى (**القندول**) ، ولكن (**ويغليف**) شحب لونه ، وقبض على الكرسى الذى كان يجلس عليه . وقال بصوت مرتعد :

« هل تتلكم عنى ؟ »

فأجاب (**بوليويف**) :

« لا ، ولكنى لا أخشاك ، كما لا أخشى غيلان الضباب »

وألحَّ (**ويغليف**) ، رغم أن الملك اشار اليه ليبقى جالسا فى مكانه ، فقال لجميع النبلاء المتجمعين :

(**بوليويف**) هذا جاءنا من بلاد بعيدة ، ويبدو عليه الكبرياء والقوة العظيمة . إلاّ اننى قد عزمت على اختبار شجاعته ، لأن الكبرياء قد تغطى عين أى رجل » .

وحينئذ وقف محارب قوى كان يجلس خلف (**بوليويف**) ، على مائدة قريبة من الباب وبسرعة أمسك رمحا وهاجم (**بوليويف**) من الخلف . وقع هذا فى أقل من طرفة عين . ورغم ذلك استدار (**بوليويف**) ، واستل رمحا طعن به المحارب وسط الصدر ، ورفعه به فوق رأسه ورماه على الحائط . وبقى المحارب على السفود . ورجلاه متدليتان على الأرض ، وهو يركل ، ورأس الرمح مغروزة فى حائط القاعة ، حتى مات دون صوت .

فقامت فوضى كبيرة واستدار (**بوليويف**) (**ويغليف**) ، وقال : « وهكذا سأفعل بأى تهديد ! »

وبعد ذلك ، وبسرعة كبيرة تكلم (**هيرغر**) وبصوت عال جدا وهو يشير إلىَ اشارات كثيرة فاحترت مما حدث ، وفى الحقيقة بِقيَتْ عيناى معلقتين على المحارب الميت المعلق بالحائط ..

○ الهوامش ○

(١) الخليفة المقتدر بالله ، هو ابو الفضل جعفر بن المعتضد ، تولى الخلافة سنة ٢٩٥ وقتل سنة ٣٢٠هـ

(٢) الصور المعروفة للسكنديناقيين تظهرهم بخوذات عليها قرون . وعند زيارة ابن فضلان كان قد مرّ على تركهم لها أكثر من ألف سنة ، أى من بداية عصر البرونز .

(٣) يتفق هذا الوصف مع عدد من النحوت التى عثر عليها فى فرنسا والنمسا